قصيدة رمى بالعصا
في رثاء يحيى السنوار

تميم البرغوثي

ألا كَمْ كَرِيمٍ عـــدَّهُ الدَّهْـرُ مُجْـرِمًا ... فَلَمَّـا قَضَـى صَـلَّى عَلَيْـهِ وَسَلَّـمَا
أبـــو القاسـم المنـفي عن دار أهله ... وموسـى بن عمرانٍ وعيسى بن مريـما
أتعـــرف دينـا لم يســمّ جريمـة ... إذا ضبـط القاضـي بها المـرء أعـدما
صليب وقتل في الفـراش وعسـكرٌ ... بمصـرَ وأخـدودٌ بنجـرانَ أُضـرما
وطفـلٌ وديـعٌ بين أحضـان أمّـه ... يـراوغ جيـشا في البـلاد عرمـرما
وقـلَّ نـبي لـم تلاحقـه شرطـةٌ ... وأشباهـها في كل دهـر تصـرّما
فمن جوهـر التوحيد نفي ألوهـة الـ ... ـملـوك لـذا مـا زال ديـنا محـرما
ولـم يؤمـن الأمـلاك إلا تقيّـةً ... وفي الملك شـرك يتعب المتكتّـما
وفرعـون والنّمـرود لـم يتغـيّرا ... بقرنـين أو ربـطات عنـق تهنـدما
ونحـن لعمـري نحـن منذ بداية الـ ... ـخليقـة يـا أحبـابنا وهـما هـما
نعظّـم تـاج الشـوق في كل مـرّة ... ولسنـا نـرى تاجـا سـواه معظـما
ونرضى مـرارا أن ترضّـى عظامـنا ... عطاشـا ولا نرضـى دعـيًّا محكـما
مسـيرة في شرفـة البيت صادفـت ... جريحـا وحيـدا يكتسي شطـره دما
قد انقطعـت يمنـاه وارتض رأسـه ... فشـد ضمـادا دونـه وتعمَّـما
وأمسـك باليسرى عصـا كي يردها ... فكانـت ذبابـا كلّـما ذبّ حـوما
ومـا أرسلـت إلا لأنّ كتيـبة ... من الجند، خافت نصف بيت مهـدّما
وقد وجـدوه جالسـا في انتظـارهم ... أظنّـه.. ومـن تأخـيرهم متـبرما
ولو صورت تحت اللثـام لصـورت ... فـتى ساخـرا ردّ العَبُـوسَ تبسّـما
تلثـم كي لا يعرفـوه لأنـهم ... إذا عرفـوه فضّـلوا الأسـر ربّـما
ولـو أسـروه قايضـوه بعمـره ... لذاك رأى خـوض المنـية أحـزما
فلـم يتلثـم كي يصـون حيـاته ... ولكـنْ لزهـد في الحيـاة تلثـما
فقل في قنـاع لـم يلثّ سـلامة ... ولكـن شعـارا في الحـروب ومعلـما
وقل في جموع أحجمت خوف واحد ... وفي جالس نحـو المشـاة تقـدما
أتى كل شيء كي يسـوء عـدوه ... ولـم يـأت شيئا في الحيـاة ليسلـما
رمى بالعصـى جيش العـدو وصية ... لمـن عنـده غـير العـصي ومـا رمى
رمى بالعصـى لم يبق في اليد غيرها ... ومـن في يديه العسـكر المجـر أحجما
غدا مضرب الأمثـال منذ رمى بها ... لكل فـتى يحـمي سـواه وما احتـمى
جلوسا عـلى الكرسي مثـل خليـفة ... يبايعـه أهلـوه في الأرض والسـما
فذلك عـرش يرتضـيه ذوو النـهى ... وذاك إمـام قبـلة السعـد يمّـما
هنا يصبح الانسـان دينا مجـردا ... ويصبـح دين الناس شخـصا مجسـما
أتعـرف إن المـوت راويـة الفـتى ... يقـول لحـق أم لبـاطل انتـمى
يعيش الفـتى مهـما تكلّـم ساكـتا ... فإن مـات أفضـى موتـه فتكلّـما